

بدل الاشتراك من سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن المدة ١٥ ملياً
الاعتمادات
يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة أسبوعية للتفكير والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - مابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٥١ - القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ المحرم سنة ١٣٦٣ - الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٤٤ - السنة الثانية عشرة

في التاني السلامة

للأستاذ عباس محمود العقاد

قلنا في كتاب « الصديقة بنت الصديق » أن السيدة عائشة
رضي الله عنها كانت تروى كثيراً من الشعر ... وكانت تحفظ
من شعر عمرو بن الزبير نفسه وتسرق الشاهد منه في موقعه ،
كما قالت وهي ترى النبي عليه السلام يتندى عرقاً في يوم قانظ
وقد جلس يصلح نعله : لو رأيك عمرو لكفت المعنى بقوله :
فلو سمعوا في مصر أوصاف خده

لما بنلوا في سوم يوسف من نقد
لواحي زليخا لو رأين جبينه
لأترن بالقطع القلوب على الأبدى

إلى آخر ما جاء في ذلك الكتاب

وقد رأينا في العدد الأخير من مجلة الثقافة كلاماً بتوقيع
« أحمد محمد شاكر » يقول فيه :

« أما هذه القصة فقد أطلت البحث عنها في المصادر المحترمة
من كتب الحديث والسير والتاريخ حتى أتتني البحث ، ثم لم
أجدها . وهذا النوع من الكاتبيين لا يتوعدون عن تكذيب
الأحاديث الصحيحة المروية في كتب السنة الصحيح والتي رتبها
أهل العلم بالحديث : بكذبونها إذا لم توافق آراءهم وما يدمون إليه

الفهرس

- ٨١ في التاني السلامة ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٨٢ التصيد للرسول ... : لأستاذ جليل ...
٨٥ على عمود طه شاعر الفن والجمال : الأستاذ دوفى خشي ...
٨٨ أعوذ برب الفلق من شر ما خلق : « الكاتب المجهول » ...
٩١ كتب وشخصيات : الصديقة { الأستاذ سيد قطب ...
بنت الصديق ... : العقاد ...
٩٤ إلى الأدب محمد العالاني [قصيدة] : الدكتور عزيز فهمي ...
٩٥ حول خلود الروح ... : الأديب زكريا إبراهيم ...
٩٥ حول ختان البنات في مصر : الأديب سليمان نجيت ...
٩٦ في الصديقة بنت الصديق أيضاً : الأستاذ عبد النعال الصبيحي
٩٧ ليشان أم الكبير عزة ... : الأستاذ برهان الدين الداغستاني
٩٨ الاعتراف ... : الكاتب الفرنسي جودي مويهان
{ حلم الآمنة ديرة رستم ...

القصة من عندنا ، وأنا لم نرها في كتاب من كتب السمر ولا في كتاب من الكتب التي يدوزها الاحترام ؛ لأن شرح شمائل الترمذى ليس اختراعاً مؤلف « الصديقة بنت الصديق » ولا هو حكاية من حكايات الأسرار ، ولا هو منزلة يدوزها احترام مثله ، وهو لا يرتقى إلى منزلة التليذ السنفيد بين أصغر شراح الترمذى في أخبار السيرة وعلم الحديث

فشمائل الترمذى وشروحه من أشهر كتب السيرة التي يتسامع بها العلماء الإصوليون والشداة المحدثون ، وهذه القصة المذكورة في شرح الشمائل للعلامة محمد بن قاسم جوسم يراجعها في الجزء الأول صفحة ٢٩ من الطبعة المصرية وفي صفحة ٤٠ من الطبعة الخارجية ، ليعلم أننا لا نخترع ولا نتمتع على كتب الأسرار ، وأنه لا يزال يتبع في مصراصة فهارس المكتبات ليعلم أين يكون البحث وكيف يكون الاستقصاء ، ودع عنك المطولات والبسوطات ، ودع عنك الشروح والأصول

وظاهر من كلام هذا الكاتب الجري الذي قلناه والذي لم ننقله أنه يتتبع ما ألفناه من كتب « المبقيات » واحداً بعد واحد ، وأنه على اللفة التي ما بعدها لفة للشور على هفوة هنا أو قيصه هناك ، ثم يطلق عقال الحقيقة ليثور ويقور ، ويبلغ قصاره من الثوران والقوران

فإذا كان قد أضنى نفسه بحثاً في خمسة كتب أصدرناها من سلسلة المبقيات وما إليها فلم يخرج منها — مع تلك اللفة وذلك التجنى — بغير تلك القصة ، فهل في وسعه أن يشهد لباحث في الشرق أو في الغرب بتحقيق أوفى من هذا التحقيق ؛ وفصل أشرف من هذا الفضل ، وعناية أكبر من هذه العناية ؟ أين هو الباحث الذي كتب في السيرة أو غير السيرة ، وبين التقديمين أو غير التقديمين ، ثم تمقبه النيطون المتلفون على الأخطاء فمصموم عن حكايات فضلاً عن حكاية ، ومن مخالفات لأرائهم فضلاً عن مخالفة واحدة ؟

صفحات تتجارر الثبات إلى الألوف كلها تنزيه للنبي وتمظيم لأصحابه وأنت في لفنتك على المابة تحفظ عينك في كل سطر منها فلا تقع على غير تلك القصة التي لا تضير ولو كذب روايتها جميعاً ثم تخرج بها إلى الناس تأنجاً في الصور ، متشدداً بنظامهم

من نظريات يتناولون فيها قواعد الإسلام ، ويزعمون أنهم يقيمون بذلك ما يسمونه طرق النقد الحديث ، ثم يحكون عن رسول الله وعن أصحابه الأكاذيب لا يرون بحكايتها بأساً وينسبونها إليهم نسبة جازمة ، كأنها من الحديث الصحيح لا يتحرون ولا يبحثون ، إنما هو سواد في بياض ، يضل به الناس وهم يشعرون أولاً يشعرون ... أنا لا أجزى لنفسى أن أتهم الكاتب الجري بأنه اخترع هذه القصة من عند نفسه ، ولكنى أظن أنه رآها في كتاب من كتب السمر ... » إلى أن يقول :

« الذي نعرفه من التاريخ الصحيح في أمر عمرو بن الزبير أنه ولد في آخر خلافة عمر سنة ٢٣ وقيل بعد ذلك ... » إلى غير ذلك من أشباه هذا الكلام الذي يرم عليه على كثيره وكان بودنا أن ننقل هنا كلمة الكاتب بحذافيرها لتشهد عليه وعلى طويته وبواعث تقدمه ، لولا أننا نطبل في غير طائل . وإن الاجتزاء بما قلناه كافٍ للدلالة على دخائل الصدور وكوامن النيات .

فأرجز ما نقول وأصدق أن الجرأة كل الجرأة هي في إقدام الكاتب على مثل هذا الكلام وهو يضع نفسه موضع الحكم الفصل في أخبار السيرة ومراجيع الأحاديث والمحدثين مع قصور المراجع التي عنده وقصوره في البحث عنها ، واستيفاء مواضع الاستقصاء منها ، في مسألة بعينها هي معروضة له وبسطة بين يديه

ولا مابة على أحد أن يفوته بعض المراجع التي لا تفوت عبره ، ولكن المابة كل المابة أن يبحث عنها عامداً فلا يمتدى إلى طريقها ، وهو يتحدى ويتناجز ويهاجز ، وبه ما به من هذه اللفة على إظهار العلم الغزير وإغلاق موارد البحث دون الباحثين

تلك مابة أى مابة على من يحسب أنه يتجرى وحده ويبحث وحده مكتفياً بما في يديه غير مستزيد مما عنده . ثم هو يبسط يديه مما إلى أقصى مداها فلا تبتلان ميسور ما في الأبدى من المراجع في باب السير وكتب المحدثين فليعلم هذا الكاتب — الجري — إذن أننا لم نخترع هذه

اتصاله بتزليل آيات من القرآن في موضوع البراءة وموضوع الحجاب ، وتواريخ الآيات أولى بالتحخيص من تواريخ الأحاديث أو تواريخ الأشعار

وقد طبعت لجنة التأليف والترجمة التي تصدر « الثقافة » كتاباً اسمه إمتاع الأسماع جاء فيه صفحة ٢١٥ « أن غزوة بني المصطلق التي قال أهل الإفك فيها ما قالوا كانت في شعبان من السنة السادسة » ثم جاء فيه بالصفحة التالية : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكر يوم الثلاثاء ثمان مضت من ذي القعدة سنة خمس ، وقيل كانت في شوال منها ، وقال مومي ابن عقبة : كانت في سنة أربع ، وصححه ابن حزم ، وقال ابن اسحاق في شوال سنة خمس ، وذكرها البخاري قبل غزوة ذات الرقاع واستعمل على المدينة ابن أم كلثوم »

أفيد هذا الاختلاف في تواريخ القوم للمناسبات التي هي أجل من شعر عمرو بن الزبير وأولى بالإتيان يريد صاحبنا أن تطيل الوقوف على عمر عمرو لأنه قال كلاماً يجوز أن يقوله كل إنسان ، بل هو معنى كل ما قيل في غرضه وغواه على السنة جميع المسلمين

إننا أطلنا الوقوف حيث ينبغي أن يطول وقوف الباحث الحريص على كرامة محمد وذويه

أطلنا الوقوف حيث كان أمثال هذا الناقد الحاقق يتقبلون الروايات وهي أغرب ما يروى وأناه عن المقول وأرلاه بإنعام النظر ودفع الشبهات

كانت روايات من أقوال الأقدمين تذكر أن النبي عليه السلام خطب السيدة عائشة وهي في السادسة وبني بها وهي في التاسعة . وكان هذا محالاً لأعداء الإسلام وأعداء نبي الإسلام يبدئون فيه ويميدون ، ويمجدون المستميين والمتشككين حتى بين المسلمين . فهنا مجال لإطالة الوقوف بغيره أمثال هذا الناقد الحاقق مهولين ويجهلون ما وراءه من الزور الأثيم والبهتان اللعين . وهنا وقفنا لتثبت بالعقل والنقل أن محمداً عليه السلام لم يكن بالسيدة عائشة إلا وهي في السن الصالحة للزواج بين بنات الجزيرة العربية ؛ فامتنعنا على رغم الأقاويل والستين أما عمر عمرو بن الزبير فهو « الفارقة » التي تصدر فيها

الأمور ، ناسياً لصاحب تلك الصفحات كل ما أصاب فيه ، ولو كنت على يقين وأنت كما رأيت لست على أقل يقين !

هب العلامة ابن قاسم الذي شرح شمائل الترمذي قد روى ما رواه خطأ من شعر عمرو بن الزبير ، وهب عمرو لم يقل هذا الشعر ولم تنسده السيدة عائشة ، فإذا في الرواية مما لا ينبغي للسيدة عائشة أو مما لا ينبغي للنبي عليه السلام ؟

هل فيها إلا أن السيدة عائشة كانت تنني على جمال النبي وأن النبي كان يسره هذا الثناء ؟

أهذا الذي لا ينبغي لمائشة رضي الله عنها ولحمد صلوات الله عليه ؟ كلا بل هذا الذي ينبغي لها دون غيره ، ومن أنكره فهو الكاذب الذي لا يفقه ما يقول

وهأنذا أعيدها جبهة بنير سند ولا رواية من شاعر أو فقيه : لقد كانت عائشة تنني على جمال محمد وكان محمد يرضى عن هذا الثناء

أسمعت يا هذا ؟

مرة أخرى أعيدها لك ولنيرك بمن يشاء أن ينكرها ، فأقول ثم أعيد أن عائشة أثبتت على جمال محمد غير مرة وأن محمداً رضي عن هذا الثناء في كل مرة ، فإن كانت قد بلغت أذنيك فاذهب إلى صورك فأنفخ فيه ما بدا لك ، رادع من يستمع لك أو يستجيب

فليس في القصة ما يدعو إلى الاستنكار والتروء من وجهة الأدب في حق النبي عليه السلام ، ويجوز من الوجهة التاريخية أن يكون عمرو قد ولد بعد الهد الذي ذكره الرواة .

ولكن يستبعد جداً أنه ولد في سنة ٢٣ التي اعتمدها حضرة البهانة المتحرى البارح في تحري الأعمار والأوقات ، لأن أم عمرو أمية بنت الصديق ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة وليس هو بأخير أولادها ، ويتندر جداً أن تلد المرأة بعد الخمسين ومع كل هذا لا نرى نحن أن نجمل رواية من روايات السنوات والأعمار مبطله لقول أو قصيد على سبيل الجزم الذي لا مراجعة فيه ؛ فمر بن الخطاب نفسه غتلف في عمره بين خمس وخمسين سنة كما يقول ابن قتيبة ، وثلاث وستين كما يقول الواقدي ومن جازاه . وجديث الإفك نفسه غتلف في سنته مع

القصيد المرسل

لأستاذ جليل

أبو علي أحمد شوقي لما «أصم به الناعى وإن كان أسما»
أملى الشعور على البراعة هذا الرثاء . وما كنت أنوى والبراعة
تكتب أن أبني شعراً مطلقاً أو مقيداً أو نثراً مسجوعاً أو
مرسلاً . وما كنت وفتش في حال تفكير أو تقصد . كتبت
ما أوحى إليّ ، وحين تم الكلام لم أنكره . وما كنت علمت
أو قرأت شيئاً مما ذكره العلامة الأستاذ العقاد والكاتب
البارع التفنن الأستاذ دريني . وما فكرت في هذا الشأن
أدنى تفكير . والقريض تركته أو تركته منذ أكثر من
ثلاثين سنة

قال قائلون : هذا شعر لم يقيد بالقوافي^(١) ، ووجدت بحثاً في
الشعر المرسل في «الرسالة» الفراء قرأت إملاء قطع من رثائي

(١) أخبرني العلامة الدكتور محمد موسى عماد الأستاذ في جامعة قزوين
الأول أنه ما كان يميل إلى الشعر المرسل فلما اطلع على رثائي (شوقياً) ارتاح
في هذا النوع

أمثال ذلك الحافظ الناقد لينفوا حديثاً قصاراه أن عائشة كانت
تنهى عن النبي وأن النبي كان يتقبل منها التناء ، ولا محسك
في ذلك لأصدقاء ولا لأعداء

فإن طاب الموقف هنا فليقف فيه من يشاء كما يشاء

وتتمة الجواب بعدد ما تقدم أن نرجع على تعقيب للأدب
الذي يكتب في الثقافة بتوقيع «قاف» يقول فيه عن الشعر
«لأنه نسج مهلهل ضعيف لا يقع في نفس أحد أنه من لغة
العصر الأول ، أو ما يجري به لسان شاعر من شعرائه ، وأحسب
هذين البيتين — إن صح حدسي — لو أحده من شعراء الخلافة
بعد القرن السابع ، قالها في أوصاف خد غلام رقيق من غلمان
الترك أو الروم يلتمس قربه أو يطلب وده»

شاعر العرب العظيم . والعربية لا تنكر تقننا في المقال ،
ولا تصد عن التنويع : قصيد مقيد ، وقصيد مرسل ، وموشح
وغير ذلك . ولكل مقام يقتضيه ، وزيادة الخير في الفنون خير ،
والعالم في تبدل ، والدنيا تطير . وإذا تفنن قائل أو أبدع وأجاد
فلا تقل له (يا هذا) ضللت أو أخطأت

[شاعر العرب قصي ، يافتاه العرب^(١) ، قالبي ثوب
الحداد !

وابرزي بين الملا حاسرة وانديبه .
زحزحي هذا النقاب لئري رجه الحزين
أعرضني عن خفصر عودتيه ، قتيون القوم عرق في الدروع
شبي دمسك هذا قانتاً بنحيب ونشيج وموبل
وابذلي الدمع وخيصاً ؛ إن من تبكين قال
بلبل (الكريمة) ولّي ، أين غاب البلبل ، أين غاب البلبل ؟
غادر الطير ثكالي في حنين وأنين وشجن
زهر (الكريمة) يبكي بدموع ظاهرات في الصباح

(١) هي في هذا المقام مثل ربة الشعر عند الأفريق ، قال هوميرو .
ربة الشعر من أخيل بن فيلا أنشدنا واروي احشاما ويلا

فنقول : إن الضيف حقاً هو هذا النقد الذي يتره العصر
الأول كله عن مواضع النقد وفيه عشرات من قالة الشعر الذين
لا يبلغون هذا المبلغ من التجويد والتشبيه ، وفيه من قالة النثر
من وهوا أنهم يناظرون القرآن بكلام يزري به هذيان الأطفال
وقد ينسب ذلك الشعر إلى ناظم فقيه فنصدق النسبة إليه
ونصدق أنه يذكر قصص القرآن في أبياته ليفضل جمال مجد على
جمال يوسف . ولا يبعد من ذلك جداً عن التصديق أن ينظمه
فقيه أو غير فقيه ليدكر بآيات القرآن التي يشير إليها أن غلام
أجل من الأنبياء !

فإن كان فرض هذه الخلافة كلها أسهل وأدنى إلى التقدير
عند «قاف» الثقافة فله دينه ، وللأبجدية جماء دين .

عباس محمد العقاد

فئن (الكريمة) آس، لا اهتزاز، لا ارتياح، لا طرب !
بهجة زالت وجاءت وحشة، وعرا (الكريمة) حزن
لا يريم !

مدّره العُرب قضى يا فتاة العُرب، فالسّى ثوب الحداد !
من لشب قد بدا من مشعب يرتجى شراً لإحياء العُرب .
من يبید البُطل في الناس متى، وبين الحق يهدى الحائرین ؟
أين شهباً حجج قد درأت لدن الخضم عنيماً تفتح ؟
أين صوّال على الظلم ضحى، قدع الظلم شهباً فاقعد
من لعرب عاصف مقتصب لصرّ حق العُرب في الصبح المبين
يا حليفاً والنّا ما إن له، أيد الأباد عهد أو يمين

جيت كذاباً وجيتاً عربياً، ومثنى اللؤم مع الخيم الكريم
خاس هذا العُرب بالعهد، ولم ينشب من دنس القدر القديم
أيها الظالم، أرهق سادراً؛ سيرى الظالم عقبي الظالمين
قد هدانا (أجد) منهاجها، سنلبي (أجد) في كل حين
علم الأقوام قول بّين، خطة الاعتاق من رق مهين^(١)

عقري الشعر ولي يا فتاة العُرب، فالهسى ثوب الحداد
طرقة الدهر التي ضن بها ألف حول ثم جاد
(أحمد) عاد وعاد (البحتري) ورأى القوم (حبيباً) يبدع
سبدع في كل قول قاله، في قصيد ونشيد ورواية

نور القرآن قولاً فملاً، وسما صاحبه في القائلين
إنما القرآن هدى الناطقين، إنما القرآن نور المالمين
فت قول لم يهذه (الكتاب)

عقريات تجلت للوري، يالها من فائنات ساحرات !
فانت الحسن، ولاحت عجيباً، هل رأيت الحور في دار النسيم ؟

(١) ولا يبيّن لك كالمضام ولا يدن الخفق ولا يحق
في القتل لأجيال حياة وفي الأسرى قد لم وعق
والحرية المسرة يابن بكل يد طريفة يدي

هل رأيت الحور في جنة عدن ؟
إبنة الدهر ثباتاً وخلوداً، ونشيد الدهر حزناً وجبوراً^(١)
رقية، سحر، نعيم، ولقى؛ جنة العُرب، جحيم الفاصبين !
إنه الإعجاز قسم الأحدين، إنه الإبداع حظ المبدعين !
رب أحقاب تقضت ما رأت عقرباً في شؤون أو فنون
آه من دهر خيبت ناقد، باخل بالمقربين ضنين
ويكأن الدهر يخشى النابغين، فقليلاً في الدجى ما يسفرون
ويكأن الدهر يخشى الخالدين، فهو لا يبدئهم في كل حين
إنما الدهر خصم المبقرى

غادة (الضاد) رزاها رازى وهي في سلطانها
بزها أوحى بنها نجمة، رفنى فتياها
ما رأى الرأى كشوق فارساً قد جال في ميدانها

إن قدنا في مصر (أبا علي) فالعزاء في (علي) - على
عمود طه - والرجاء أن يسير في الطريقين : طريقه وطريق
(أحمد) ؛ و (أبو محمود) هو الأديب القنطرة بما أعطاه الله
لم تزل مصر كعبة الشرق (م) وفي كنفها لواء الزمامه^(٢)
(هـ)

(١) كان شمرى الفتاة في فرح الشرق (م) وكان العزاء في أحزانه
(٢) على عمود طه من قصيدة في رثاء شوقي

ادارة البلديات - تنظيم

يسلن مجلس جرجا الحلى عن مزايدة
بيع نحو ٣٠٠ متر مكعب من سجاد
التهامة - وتقدم العطاءات الى المجلس
مصحوبة بتأمين ١٠٪ لغاية ظهر ١٥
فبراير القادم . وتطلب الشروط منه

١٧٧٨

مجاناً

على محمود طه

شاعر الفن والجمال

للاستاذ دريني خشبة

١ - عبقريته في إكمال أغنية الرياح الأربع ٢ - مشخصات أسلوبه ٣ - بعض صور كتيبه ٤ - لقب شاعر الذة

ليس فرحنا بأغنية الرياح الأربع أنها لشاعر مصري قديم يرجع زمنه إلى أربعة آلاف من السنين ، بل لأنها نظمت بالعربية بمد زمان هذا الشاعر المصري القديم بأربعة آلاف من السنين ؛ وقد نظمها شاعر مصري تسلطها منقوصة فسواها كاملة ، وجعل منها آية فنية مشرقة البيان ، حسنة السبك ، فياضة بالحياة التي تملأ جميع جوانبها

فن المقدمة القصيرة التي وضعها الأستاذ دريتون للأغنية والتي يقول فيها : « تقوم هذه الأغنية على الحوار فبعد أربع مقطوعات تنفي كلامها فتاة يدخل رجل فيحييها ويشرح في خطفها ليستول على الرياح المثلثة فيهن ، فيغريهن بإثارة الفضول في نفوسهن ، وذلك بأن يعرض عليهن زيارة سفينته ... ولما قبل عليه بالرفض ، لم يستلم للهزيمة كما هو واضح من المقطوعة الأخيرة في الأغنية « إن وسائل لا تنفد » . ولكن لسوء الحظ لم نثر على تلك الأغنية والوسائل التي لجأ إليها الرجل . وأكبر الظن أنها مما يشير الشراة Gourmandise التي تكشف مواطن الضعف في النساء . نستنتج أن الفصل الأول والفصل الأخير من تمثيلية الأستاذ على محمود طه هما من ابتكاره . وأن الفن الرائع الذي لوتن به الفصل الثاني — وهو الفصل الذي تضمن الأغنية المصرية القديمة كلها تقريباً — هو من إنتاج قريحته الخصبية المبدعة ... أثمره خياله المتجدد ، وسرت فيه بالحياة شاعريته النابضة ، ودوت فيه موسيقاه بألحان الجمال .

وقد يسأل بعض القراء : وما قيمة هذه الأغنية وماذا تتناوله من مشكلات الحياة ؟ وليس أيسر من الرد على هذا بما ختمنا به مقالنا الأول عنها من أنها سحر وشعر وفن وجمال ... إنها من قبيل هذه الدرامات الرائعة التي نظمها شيكسبير في صدر حياته . و (المصافاة) هي أقرب أمثلة ذلك ؛ إذ تركّز على

السحر الذي كان يجيده بروسبيرو ، والذي سخر به الريح فأغرقت سفينة ملك نابلي وسلط عليه وعلى أخيه الخائن الروح آرئيل يسيمها من المذاب ألواناً ، حتى تنتهي الرواية بصلح عام تكون ثمرته زواج ابن ملك نابلي من ابنة بروسبيرو وعودة بروسبيرو إلى ملكة في ميلان . فالرؤسوع في (المصافاة) موضوع شعري ساحر نجلت فيه عبقرية شيكسبير ، وظهرت في عرضه وتناوله مواهبه التصويرية العالية . وكذلك موضوع أغنية الرياح الأربع . والعجيب أن تكون هذه أولى روايات على محمود طه المسرحية ويتبعها مع ذلك على هذه الصورة الرائعة من الحكمة والحركة والتسلل والإبداع المتناهي في التصوير واختيار المناظر الخيالية الراقصة ... هذا فضلاً عن بيانه المشرق وديباجته العالية وقوافيه المتقاة وقوة تدفقه في الحوار وحرصه على موسيقية الأوزان ، بل موسيقية الألفاظ ... قلنا نثر على لفظة نائية ، أو كلمة قلقة ، أو جملة لم يحسن الشاعر اختيارها وصقلها وتجويدها ... وأنا متعمد أن أسوق كل هذا الكلام الذي يشبه الأطراء ، بل هو الأطراء نفسه ، لأذكر سببه ... حقاً إن لهذا الأطراء سبباً طريفاً أرى أن أسوقه هنا ، لأن هنا موضعه ... ذلك أنني تمودت كلما فكرت في الكتابة عن شيء أن أسأل هذا النفر من إخواني الأدباء الذين أتوسم فيهم إلماً بالموضوع رأيهم فيها أنا بسبيله منه . وقد سألت هذه المرة كثيرين من إخواني الشعراء رأيهم في على محمود طه أولاً ، وفي تمثيلته أغنية الرياح الأربع ثانياً ؛ فعجبت إذ وجدت الغالبية منهم تجمع على مآخذ بأخذونها على هذا الشاعر ، منها أنه مولع بالألفاظ وعبارات بينهما يرددها في الجزء الأكبر من شعره . فن هذه الألفاظ « شمع » وما يتفرع منها ، و « عبرى » وما تصفه من خيال وخر وموسيقا وجمال ، و « لؤلؤ » وما إليه من لآلئ ولآلئ ولؤلؤي ، و « تذويب القلب » في السموع وفي القبة وفي النظرة وفي الابتسامة ، و « صرح » ، فالمجداف صرح ، والحبيب صرح الأعطاف ، والجيد صرح ، والقلب صرح ، والشباب صرح ؛ و « مجنح » فالخيال مجنح والطيح مجنح والسفين المجنحات ، والريح أجنحة أي روح خفية أي ريح حملتنا بأجنح في الخفاء ؟ و « سلسل » وما يصرف منها ، ومثلها « تدو » و « ناسم

« أى نعم ، ليس إلا ، لا تجمل بالك إلى كذا » من الحزمة
أن تصنع كذا ، الثبات والثبات ، بامها ، الحب الآخذ
بالسكيتين ؟ »

ولست أدري كيف يأخذ الحب بالسكيتين ، والذي أعرفه
هو الحب الذى يأخذ بمجامع القلوب مثلاً . ولأسلوب الأستاذ
« المازنى » مشخصات أخرى عجيبة سنعود إليها فى موضع آخر
إن شاء الله

والدكتور زكى مبارك مشخصات أسلوبية معروفة لقراء
هذه المجلة . وقد ظلمه الأستاذ العقاد حين جرد أسلوبه من
« مقومات الشخصية » ، وم مشخصات أسلوبه أكثرها « أغماط »
جامعية .

فهو يكثر من « على التحقيق » و « النص على كذا » ،
و « هذا معناه » و « هل يعترى منصف فى كذا » و « الحقائق
الأدبية » و « فى الأثر » و « الوارد هو كيت » ... هذا إلى
ما تفيض به مؤلفاته من روح الاعتداد بالنفس والزهو الذى
أنجب به من زكى مبارك ولا أعيبه عليه ... وقد ما أظرف
ما يجيب به حين يسأل عن هذا فيقول : زمان لا يريد أن ينصفنى
فلماذا لا أنصف منه لنفسى !

ولكل من شعرنا أسلوبه الخاص كذلك ، ولولا خشية
الإطالة لقربنا الأمثال الكثيرة لذلك ، وحسبنا أن نشير إلى
اشتراك رجلين من أقطاب شعرائنا الشيوخ فى غفلة العبارة
وقوة النسيج وتغيير الألفاظ التى تأتي فى قصائدهما كأنها خارجة
من كفى لآل ؛ أما هذان فهما الجارم ومحرم ، وإن لم يصعب
على الناقد البصير أن يميز كلاً منهما عن الآخر مع اشتراكهما
فى هذا السبيل .

ومن شعرائنا الشباب عدد كبير يستطيع الناقد كما يستطيع
القارى المادى أن يدل عليهم من أسماءهم وإن لم تحمل
أسماءهم ، ومن هؤلاء الشعراء الشباب من أعظم بألفاظ
خاصة وعبارات بعميتها تشيع فى معظم منظوماته ، وهى مع هذا
لا تنقص من قيمة شعره شيئاً ، إن لم نكسبه ميزة جديدة فوق
ميزاته الكثيرة الرائعة .

سعى فتيحة

(السلام صلة)

وينام « و « الأصائل المسجدية » و « الخلقان المسحورة »
و « حدائق النسيان » و « الكنوز المرسودة » إلى آخر هذا
الثبت الطويل من الألفاظ والمبارات التى تركتهم يحصونها
ولا يكادون يفرغون منها لكثرتها . وقد كنت أكتب
ما يذكرون منها فى ورقة بسرعة فائقة ؛ فلما سكتوا سألتهم
رأيهم فى هذه السمكات ، أشرى ؟ وهل فيها كلمة لم يعمل الدوق
السليم فيها عمله ؟ وعلام ندل هذه الكثرة العجيبة من تلك الألفاظ
والمبارات المتقاة ؟ أمى دليل قفر فى محصول الشاعر الأدبى
والقوى ، أم هى دليل شئ آخر غير الفقر ؟ والمائى التى تساعد
هذه الألفاظ فى أدائها ؟ ألدو ؟ أم هى من أدق المائى
وأحلاها وأكثرها طلاوة ؟ وهل نسينا أن لكل كاتب ولكل
شاعر أسلوبه الخاص ، وأن لهذا الأسلوب الخاص مشخصات
تشبه علامات الطريق ؛ فهى تميزه وتعرف به ... فالدكتور
طه حسين مثلاً يلتزم عبارات بعميتها يرددها فى كل كتبه أو
فى معظم كتبه ؛ وهو يرددها أكثر مما يرددها أى كاتب آخر ،
بل لكل معظم الكتاب فى مصر وفى العالم العربى لا يرددون من
عبارات الدكتور طه حسين شيئاً ، تلك المبارات التى يترق بها
أسلوبه بين مائة أسلوب أو أكثر من ذلك لو أنه وضع بينها .
وكذلك أسلوب الأستاذ العقاد ، ذلك الأسلوب القوى الذى
يفيض بفحولة تنعب أفهام القراء أحياناً ، وهو تعب نتج عنه
لذة ذهنية عجيبة إذا استطاع القارىء أن يدرك المعنى الحقيقي
الذى يرى إليه الكاتب الكبير ، فإذا لم يستطع القارىء إدراك
هذا المعنى أحس عند تلك الفقرة أو ذلك السطر من كتابة
الأستاذ العقاد بمرارة ، لكنه مع ذلك يعضى فى القراءة
مأخوذاً بالجمال الكلى عن هذه الجزئيات الهينة . والأستاذ
المازنى مشخصات عجيبة فى أسلوبه ، تميزه من جميع
أساليب الكتاب المصريين والكتاب العرب على حد سواء ،
فهو دائماً « بمط بوز » أبطال مقالاته و « يعط شفاهم ا » ،
وهو مولع بترديد « حلاق العين » فى جميع كتاباته أو فى
أكثرها ، وفى قصته الجميلة « إبراهيم الثانى » تردد هذا
« الحلاق » أكثر من أربعين أو خمسين مرة كما ترددت هذه
المبارات مراراً :

أعوذ برب الفلق

من شر ما خلق
للكتاب المجهول

صحوت مع الفجر بعد ليلة حراء ، وهي الليلة التي ولد فيها
هذا العام الجديد ، صحوت ظمآن ، ولكنني لم أستسغ الماء ، فقد
شعرت أنه ذوب من ثلوج الشمال ، وعند ذلك هتفت :
« أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق » !

ولكن ما هو الفلق ؟

أهو الصبح ؟

وكيف وما كان ليلى إلا صبحاً في صبح ؟

هو إذن « واد في جهنم » ، كما قال بعض المفسرين ، وبالله
أعوذ ، فما يدفع شر جهنم غير من خلق جهنم
وجهنم التي أخاف هي الجنة التي أرادت أن تأسرني إلى
آخر الزمان ، بالعقد الذي لا ينقضه الأحرار وهو عقد الزواج
في عصرية الأمر قال خالها الفرنسي وهو يراني أضحك معها
وألمب :

Je vous souhaite d'être aussi heureux à
l'occasion de vos fiançailles que moi durant les
42 années de mon mariage.

وقد اعتصر الحزن قلبي في تلك اللحظة ، لأنني كنت
اعتزمت فسخ الخطبة ، بعد أن رأيت أن خطيبي تنقلني إلى
وطن غير وطني ، وبعد أن رأيت أن أهلها صاروا أعز عليّ
من أهلي

ومن حالي معها أدركت السر في أن تحرم الدولة المصرية
على سفراتها أن يتزوجوا من أجنيبيات

وهل أنسى أني رفضت المشاركة في الاحتجاج على ما صنع
الفرنسيون في لبنان ؟

من أجل حبها أبيت أن أكتب حرفاً واحداً في تقبيح
ذلك الصنيع ، فقد بدا لي غير قبيح ، لأنه صدر عن أهل
سوزان ، وصدق شاعرنا العربي حين قال :

ومن ينشأ الحب أن كان أهلها

أحب إلى قلبي وعيني من أهلي

— إن الدرس الذي تلقيته عنها يفوق جميع الدروس ، فقد
بدأت أومن بأن من يتعلم لغة أجنبية يهاجر عن وطنه بطريقة
خفية ، وبدأت أفهم كيف سارت الوطنية شريفة عند الفرنسيين
والإنجليز والألمان واليابان

أولئك أقوام لا يعرفون غير لغاتهم ، فهم في أمان من
احتلال الأفكار والآراء

وهل كان من البت أن يقول جماهير الشرعيين من المسلمين
بعدم جواز الصلاة بغير اللغة العربية ؟

— من المؤكد أنهم كانوا يعرفون أن الله يقبل الصلاة بأي لغة
وبأي صوت ، ومن المؤكد أنهم كانوا يعرفون أن الله يسمع
ديب النمل كما يسمع قمقمة الوعود

فكيف أوجبوا أن تكون الصلاة باللغة العربية ؟

لأنهم أرادوا إنشاء قومية لها لغة واحدة ، ودين واحد ،
لتأمين احتلال الأفكار والآراء

ذلك درس تلقيته عن خطيبي ، الخطيبة التي ودعتها عند
انتصاف هذا الليل ، وإن لم تلتق مني أي جزء

قلت ونحن نقترب : لن ترائي بعد هذا الليل !

قلت : سئلني بأقرب مما تظنين ، فلا بد للجمر من وقود ،
وأنت الوقود

وما ذا تريد أن تأخذ مني ؟

ألا يكفي أنها ميرتني أشهر الدعاة لوطنها العالي . العالي على
وحدي من أجل حبها . فما تالم روحها يوم سيقوط باريس كما تالم
روحي . ولا هفا قلبها على فرنسا الجريحة كما هفا قلبي

وأنا رغم بخلها من علي روحها اللطيف ، فقد علمتني كيف
أدرك قيمة الصورة التي ساقها شاعرنا العربي حين قال :

تطيق شيئاً قليلاً وهي خائفة كما يحس بظهور الحية الفسوق
لن ينقضى عجبى من الفروق بين الأرض والناس

أرض فرنسا هادئة من قديم الزمان ، وهي قليلة التعرض
للزلازل والبراكين ، وقد رأيت بعيني كيف جسدوا عرقاً
نبض من نهر السين وهم يُيسرون من تحتهم قطار المتروبوليتان ،
فكيف يكون أبناء تلك الأرض الهادئة الثابتة توّاراً ومتقلبين
في أكثر الأزمان ؟

وأرض اليابان معرضة في كل وقت للزلازل والبراكين ،
وسمع هذا عرف اليابانيون بالقرار والاطمئنان ، على اختلاف
الأحداث والأزمان ، فما هذا الذي ترى من الفروق بين الأرض
والناس ؟

ولكن كيف عرفت أن اليابانيين أهل قرار واطمئنان ؟
كيف عرفت ذلك ولم أزر اليابان ، ولم أعرف من أوصاف
أهلها غير أشياء لا تتصل بأعماق النفوس ؟

لو كان لي حظ التعرف بصديقة يابانية لأدركت شيئاً من
السريّة اليابانية ، على شرط أن أتكلّم لسانها الأصليّة

اللغات أنفاس ، فلا تصدقوا من يزعم أنه صافح روح
شاعر وهو يقرأ شعره مترجماً إلى إحدى اللغات ، ولا تصدقوا
من يتحدث من بلاد زارها وهو يحفل لسانها كل الجهل أو بعض
الجهل ، وإنما نصمت على « بعض الجهل » ليفهم ناس
من خلق الله أن الذي لا يتعمق في لغة من اللغات لا يجوز له
أن يقول إنه يعرف تلك اللغة ، فالمعرفة الناقصة أخطر من الجهل
لأن الجاهل يقف عند حده فلا يتريد ولا يستطيل ، أما ناقص
المعرفة فقد يرمي الضرور أنه أعلم العلماء ، فيؤذي نفسه قبل
أن يؤذي الناس

وخطيبتي التي فارقتها بالأمس هي إحدى بنات لطيفات
من اللواتي عرفت في القاهرة أو في باريس ، وحالي معها كان
عجباً من العجب ، فقد رضيت عنها ورضيت هي ، مع أن حياتنا
سلت من جميع الأسواء الروحية والوجدانية ، في زمان لا تأنس
فيه روح إلى روح إلا بمقاورة الأهواء

كان الزواج هو الغاية التي تريد ، وقد كان يجب أن تسارع
قبل أن تفضحنا الأقاويل ، فما الذي وقع في تلك الليلة الحراء ،
وقد سبقته تعاهيد ؟

بدأ لي أن لجاجة العاطفة وصلت إلى أبعد حدود العنف ،
فرايت أن أستعير خيالاً من العقل الذي عشت به سنين . وهل
يقي لي من العقل إلا طيف من خيال ؟

فكرت فيما تمناء لنا خالها العزيز ، وقد عاش اثنين وأربعين
عاماً وهو سعيد بالزواج . ثم افترضت أن سعادته الزوجية دامت
لأنها بُنيت على الهدوء ، والعاطفة الهادئة تبنى برفق ؛ فإني
أتمرض لعاطفة مجنونة الجروح ؟ وكيف أصبح لهذه الجنينة بأن
تزلزل الخيال الباقي من عقلي !

لقد راعني بكائها فكيف

قالت بصيغة الاستفهام لا التقرير :

Tout est fini entre nous ?

فأجبت بالصمت

ومن قال إلى سأرجع ؟ ومن قال إلى سأراجع ؟

ذلك فراق ، ليس بعده تلاق

لن يؤذيني أن تخرجي من سمائي ، فإني وأنتي باني ساجد
هواي حين أشاء ، وإنما يؤذيني أن أنصور أنك يئست من
وفاي ، وأنت صرت بتيمة بمد أن خدت نيران أشواق ، ولن
تحمد نيران أشواق

لن يصاح ما بيننا إلا إن سمعت شكواي : هذا الصدر يسير
طارياً في كل يوم ، كسائر مدور النساء في هذا الجيل ، فكيف
يهادن جميع الرجال ، ويحاربني وحدي ؟ وهذه العيون توجه
نظرات وغمزات ، ولا تأسر أحداً ، مع أنها تخاطب جميع
المخلّاق ، فكيف تأسرني وحدي ؟

قلبي هو القلب ، وجمالك هو الجمال ، والناس ما قدانا خيال
في خيال

لا تسأليني عن حالي ، فأنت خالي وأحوالي ، وأنت باضي
وحاضري ومستقبلي ، وأنت ضميري للركوز في ضمير الوجود

وتبارك الذى تفضل لجعل لون عيونى مما يهيج الحيات السود
سنتفرق ؟ سنتفرق ؟

هو ذلك إن جاز أن تزهّد الميون فى الضياء
يا بنت فرنسا الغالية ، تذكرى ليالى وأيامى ، وارحمى من
يصعب عليه أن تجرحيه ، وهو الصديق الأوحد لوطنك الجريح
لن نفترق ، لن نفترق ، وهل نستطيع أن نفترق ؟

وإذا أرادت الطبيعة أن نكون خائنين ، فلنكن خائنين ،
لنتحرر من موافيق الجهلاء ، وما هى الطبيعة التى يتحدثون
عنها جاهلين ؟

الطبيعة هى الصدق فى تلوين ما خلق الله من حقائق الوجود
وسيكون هوأنا تمييزاً أبدياً عن ضمير الوجود ... ومقاتلى هذه
تصوير لحنة روحية لن نحمد قبل أن نحمد النيران الصوارخ
فى ضمائر الجبال . « الطالب المجهول »

لن أياأس منك ، ولن نياأسى منى ، ولن يقول قائل
إنى فارقت هواى فى لحظة من لحظات التغيب أو السناد أو العتاب
أنا حاربت فرنسا وهى صحيحة ، وسالمتها وهى جريئة ،
وأنت الخيال الزائر من ذلك البلد المحبوب
لن أنمت بفرنسا مع الشامتين ، ولن أذكرها بغير الجليل ،
وإن جانبت الجليل

قال الجنرال دى جول : لبنان وديعة فى يدي وسأسلمه
لفرنسا

يقول هذا القول وهو مغلوب ، وتلك غاية الغايات فى صدق
الوطنية ، وأنا أبحر هذه الوطنية ، وأعنى مثلها لنفسى
إن الاستعمار من أنسبة الأمم القوية ، ففى نكون من
الستعميرين ، كما كان الآباء والأجداد ؟
آفة الاستعمار هى التسايط القائم ، تسلط الحاكم الجاهل
الذى يقول كما قال بعض حكام فرنسا فى الهند الصينية :

Je suis le maître

ولا بد لنا من استعمار نجرب فيه أخلاقنا السياسية ،
وفى السياسة أخلاق ، إذا تولاهما عطاء الرجال
والاستعمار لم يمتد صعباً كما كان قبل أعوام قصار لا طوال ،
كان الاستعمار يحتاج إلى جيوش برية وبحرية ، وهو بمد
اليوم سيكون فى ميدانين اثنين : ميدان الأدب وميدان
الاقتصاد ، وسلاح الأدب هو الصدق ، وسلاح الاقتصاد هو
الأمانة ، فلنحرص على أن نكون الصادقين الأتقاء
أما بعد ، فآنا لا أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، وإنما
أعوذ برب الفلق من خير ما خلق ، وهو الجلال
ومعنى هذا أنى سأراجع خطيئتي الغالية ، وهى الفتاة
للشوفة الراة

إنها تحاول أن تنقلنى إلى وطنها ، وأنا أحاول أن أقتلها إلى
وطنى ، وسترى بعد قليل من الغالب ومن الغلوب
للتشر فى رأسها برق "سرق" شعاعه من نيران قلبى
والتموج فى خدودها سرور من تموج أشعارى
وسحر هينها الزرقاوين منهوب من سحر غنى الخمراتين



- الراجل ده يا يكونه انضج له كثر يا يكونه كسب الدربي

- لاكره ولاكره ... ده اشتري حقه من اراضى الزوايا

كتب وشخصيات

٤ - المصديقة بنت المصيرى ١٠٠ للمقاد

للأستاذ سيد قطب

مدرسة العقاد

في الأدب والحياة

كل ما قلته عن «حدود المدرسة الأدبية» في كلمة سابقة من هذه الكلمات، يمكن تطبيقه بلا تحفظ على «مدرسة العقاد»؛ فهي مدرسة في الأدب كما أنها مدرسة في الحياة، يلتحق منها تلاميذها على سنن واضح ونهج صريح، ويجدون فيها تفسيراً مميئاً للحياة والفنون، يشتمل نوع الإحساس ولون التفكير، وطريقة التعبير، بل يشتمل فوق ذلك قواعد المنطق والسلوك، وتقويم الأشياء والأشخاص، وتقدير الحوادث والأعمال؛ وهي مدرسة متبلورة، واضحة السمات، لا يجد الناقد مشقة ولا عسراً في اختيار عنوان لها، يمثل وبلخص أكبر ما تستطيع العناوانات تمثيله وتلخيصه

هي مدرسة «المنطق الحيوى»

والنسبة هنا إلى «الحياة» وإلى «الحيوية» جميعاً... إلى «الحياة» لأن مراد الحكم على كل قول وكل عمل هو ما تقوله الحياة وما تصنعه، ومنطقها هو المنطق الطام في جميع الأحوال. كل ما تصنع الحياة يرجى من بنينا قبوله واقتضاره فإذا أنكروا قبيحاً، ففي القبح من الموت لونه أو شعاره وإلى «الحيوية» لأن مراد الحكم على كل قول وكل عمل هو باعثه، ومدى الحيوية في هذا الباعث؛ وقد تشابه مظاهر الأقوال والأعمال ولكنها تتفق في «الرصيد» للكتون لها من الباعث الحيوى ليتوحد الحكم عليها، وقد تتفق مظاهرها ولكنها تختلف في الرصيد فيكون ذلك مناط الاختلاف

أستاذ هذه المدرسة الأعظم هو الحياة ذاتها، لا الفكر المجرد، ولا المنطق الذهني، ولا مواضع المجتمع الاصطلاحية، ولا قواعد الخلق المتعارفة، ولا المذاهب الفنية المعنونة... إنها ترجع إلى النبع الأول تستقي منه، وإلى الفانوس الخالد تنرواه، ترجع إلى الحياة الطبيعية فتتاقى عنها مؤثرات الإحساس، وقواعد اللطائف، وطرائق التعبير، كما تتاقى أصول السلوك ونواميس الآداب وقوانين الأخلاق سواء بسواء.

ولكن عدداً من المدارس يمكن أن يتلذذ على الحياة ثم يختلف في مناهج الدراسة. وهنا نضعنا نحبة المدرسة المقادية إلى «الحيوية» في تحديد التمايز. فالحيوية القائمة التدفقة، والحيوية الظاهرة والباطنة، حيوية الحس والوجدان، حيوية الطبع التي تفيض على الحواس والذهن والضمير في آن... هي السمة التي تعجب بها مدرسة العقاد، والتي تصدر عنها في السلوك والاعتقاد، وفي الفنون والآداب

ولما كانت الحياة هي الأستاذ الأعظم للمدرسة، فلا محجب أن يكون طابعها هو الاستقلال في التلقى عن هذا الأستاذ - في حدود السمات العامة لها - وأن يكون عمل العقاد فيها هو عمل الرائد الذي يكشف النبع، ويعهد إليه الطريق. وهناك يلتحق تلاميذه ومريدوه - وهو مهم - بين يدي الأستاذ الأعظم. وفضله عليهم هو فضل السبق والإجادة، وعمامهم منه هو عمل المتذوق الفانم المريد، لا عمل المتلقن النازل المقود. فليس بتلميذ أصيل في مدرسة العقاد من يتقل عن نفسه ليقبله، ومن يسلك طريقه ولا يستمد من النبع الخالد منه، لأنه إنما يضيع في هذا السلوك سمة المدرسة الأصيلة، وهي سمة الاستقلال في الأخذ المباشر عن الحياة.

والعقاد - رائد هذه المدرسة - هو ابن الحياة البار ابن هذه الحياة القائمة على هذا الكوكب، لا أية حياة أخرى في أى كوكب آخر، هذه الحياة بقيودها وضرورتها، وبآمالها وأشواقها. الحياة الظاهرة للحس واللسن، والكنونة في القلب

والضعير . وهو - قبل كل شيء - إنسان حي ، ملء إهابه حياة ، بل هو رسول من رحل الحياة المعوزين ، وداعية من دعائها المخلصين

وما عن ضيق في آفاق النفس والحس تستغرق الحياة حس المقاد ونفسه ، ولكن عن سعة وضخامة في هذه الحياة تستغرق الحس والشعور

يا طالباً فوق الحياة مدى له يسمو عليها ، هل بلغت مداها ما في خيالك صورة تشتاقها إلا وحولك لو نظرت تراها على أننا لا نتمتع في تقرير هذه الحقيقة على ما يقول ، فقد يستوحى الأديب قراءاته أو أفكاره ثم يقول ! ولكننا نتمتع على الإنسان الحي في المقاد ، وعلى سلوكه في حياته الشخصية والسياسية والفنية ، وعلى انتباهه الحاد لكل نبضة حية في نفوس الآخرين وسلوكهم ، ولكل التفاتة منهم إلى الحيوية النابضة في الكون والحياة . وذلك هو البرهان الحي الصحيح في فهم الطبائع والخصائص والاتجاهات .

وأدوات الاتصال بالحياة عند المقاد هي حواس بقطعة متفتحة ، تؤدي إلى حس متوفر مكتمل ، يفيض إلى وجدان زآخر عميق ، وهذه الأدوات كلها مدد من يداه الطبيعة وومضات الفكر ، وسبعات الروح ، في توازن وانسجام . وإن الاتصال بينه وبين الحياة ليم تارة من الخارج إلى الداخل ، وتارة من الداخل إلى الخارج (إذا لم يكن بد من هذا التجسيم) ... حاسة توظف حساً فيذكو ويتوهج ، وحس يشرب وجداناً فيشبع ويفيض . أو وجدان ينفع ليوظف الحس فيفتح الحواس . وهذا وذلك على حسب الحالات النفسية وعلى حسب المؤثرات المختلفة . وإن المنافذ امتوحة علواً وسفلاً ، بل لا علو ولا سفل ، إنما هي قوة واحدة متمدة المنافذ مشبكة للساك ، متصلة بالحياة ، تلتقي فيها الأرض بالسما ، بل لا أرض هناك ولا سما ، إنما هو عالم واحد والروح والمادة مظهران لحياة واحدة و « الدنيا جمال نصل إليه من طريق الضرورة ، وروح تلسمها بيد من المادة »

وهذا العالم الواحد هو الذي ندرك الظاهر منه بالحس

والحواس ، وندرك المكنون منه بالبداهة والوجدان ، أو ندرك ظاهراً وباطناً في لحظة واحدة بجميع هذه الأدوات ؛ فظاهره إلا رمز لمكنونه . وقيمة هذا الظاهر مستمدة مما يرمز إليه من مكنون . وكلاهما حق وصدق لأنهما شيء واحد في النهاية !

قالوا الحياة قشور قلنا فأن الصميم
إن الحياة حياة فقاروا أو أقيموا

ولقد كان المقاد - بما فيه من بقطعة الحس وقوة الحواس - وشيكا أن يبذل إعجابه كله للحياة المحسوسة الظاهرة وللحيوية المتدفقة في الحس والفرزة ، لولا قسط من « الصوفية » - ولا يجب أحد لهذه الكرامة - ففي المقاد إيمان عميق بقوة مجهولة تصرف الحياة وتسيطر على أقدار الفرد والنوع (والصوفية في أسامها البسيط هي هذا الإيمان بالمجهول) . ولكن هذه القوة المجهولة التي يؤمن بها المقاد إنما تصرف الحياة وتسيطر على أقدار الفرد والنوع ، لمصلحة هذه الحياة نفسها وللرقى بالإنسانية في مدارج السكال ، لا لغرض آخر من الأغراض النائية المجهولة !

هذا القسط من الصوفية - بهذا المعنى - يمزج بالحيوية الحسية ، فيخرج منها مخرج جديد فيه من هذه وفيه من تلك على غير تميز بينهما ولا انفصال

ولقد كان المقاد كذلك - بما فيه من محور الذهن ، وبقطعة الوحي وشيكا أن يبذل قواه كلها للفكر والنطق ، لولا فيض من حيوية الطبع يجرف قوى الذهن والوحي لتستحيل جنوداً لهذا الطبع الحي ، تضرب بسلاحه ، وتستمد منه القوة وله عليها السيطرة في النهاية !

وكثير من الفنانين يقوم في نفوسهم صراع بين مثلهم العليا وبين سلوكهم في الحياة . بين ما يصرع في كيانهم من غرائز يستقذرونها وما يخلق في أرواحهم من أشواق يهفون إليها ؛ فأما المقاد فقد عقد صلحاً مبكراً بين غرائزه ووجداناته فهو لا يفعل ما يستقذره ولا يستقذر ما يفعله ، وبين ذلك قوام وللحيوية عند المقاد شفاعتها الحاضرة فيما تأخذ وما تمنع

من الأمور ... أقول شفاعتها ؟ ألا إنها ليست في حاجة إلى الشفاعة ؛ فهي نفسها الشفيع الذي لا يرد له كلام ، والمقوض الذي لا يسأل حتى عن أوراق الاعتقاد . وليست هي إذن في حاجة إلى الشفاعة والاعتذار بقدر حاجتها إلى التناء والإطراء . وهكذا يعجب بمحمد في الأنبياء ، وعمر وأبي بكر والإمام في الخلفاء ، وبالصديقة بنت الصديق في النساء ، كما يعجب بالثني وابن الرومي في الشعراء ، وببنته وجيعته في الأدباء ، وبسمد ومصطفى كمال في الزعماء ... وهؤلاء وأولئك وسواهم ممن نالوا إعجابه ، إنما يلتفتون أولاً في صفة الحيوية ، ثم يختلفون في مدى هذه الحيوية ونوعها ، وفي اتجاهها ومظاهرها كل حسب وظيفته في الحياة

وإن إعجاب العقاد بالحيوية ليترد فتشاً عنه آرائه في الحياة والأخلاق ، وفي الانفعال والسلوك ، وفي الأحداث والأشخاص ، وفي الفن والنقد . وما من رأى له في المدارس الأدبية وفي طرائق الأدباء ، وفي الفن والسياسة وفي الارتياح والاعتقاد ، بهم أو يستغلق إذا عالجته الناقد بهذا المفتاح !

أعمال العقاد النثية لتؤلف جميعها نشيداً واحداً مطرداً في تمجيد الحيوية بكل معانيها وأشكالها ، منذ الجزء الأول من ديوانه إلى الجزء الأخير ، ومنذ « خلاصته اليومية والفصول » حوالي سنة ١٩١٤ إلى مؤلفاته الأخيرة سنة ١٩٤٤ . وتلك علامة الصدق بلا جدال

وإنه ليس في فلسفته الوحدة ، في طريقه المستقلة ، فيلتقي بالكثير من الأدباء والفلاسفة والمفكرين في الشرق والغرب ، ولكنه لا يساير أحداً منهم إلا إلى الذي الذي يتفق مع فلسفته الخاصة ، ثم يترقان فيمضي هو على نهجه بطريقته ، ويدع صاحبه يحضي لطيقته ، في سلام أو في خصام ! وهنا يقول من لا يلتفتون لغير الظواهر : إنه يأخذ من هذا أو من ذاك على معنى غير معنى الدراسة والالتقاء

ولا بد قبل أن نختتم هذه الكلمة أن نلاحظ بحسب سعة في النفس والمكر نجمل هذا الرجل ذا الشخصية الواضحة والفلسفة الخاصة يستمع ويهش ويصجارب مع جمع حاشد من أنماط الشخصيات والفلسفات

من المعرى الذي يقول :

تسريح كفك برغوثك ظفرت به

أبر من دم تطليه محتاجاً

إلى الثني الذي يقول :

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس وروى ربحه غير راحم
ومن ما كس نوردو إلى شوبهور ، ومن تاجور إلى نيتشه ،

ومن جيتي إلى توماس هاردي ، ومن خالد بن الوليد إلى عمرو ابن العاص ، ومن مصطفى كمال إلى غاندي ، ومن عمر بن أبي ربيعة إلى جيل بغيته ... إلى آخر هذه الشخصيات التي لا تقل الفوارق بين كل اثنين منها وبين كل واحدة منها والأخرى عن الفوارق بين المعرى والثني في شتى الاتجاهات

ولا بد أن نلاحظ بحسب كذلك تلك القدرة التي تقيم عظمة أبي بكر أمام عظمة عمر الزنديق المتقايين في نوع العظمة ، والتي تقصر تصرف عمر مع خالد ، وتصرف عائشة مع علي ، والتي تنصف الإمام من الصديقة ، وتنصف الصديقة من الإمام

وليس هذا عن منطق لبق ، ولا عن مهارة ذهنية ، إنما هي سعة في النفس ، ورحابة في الفكر ، واتساع في الإحساس ، لرؤية جميع الجوانب ، وتحليل وجهات النظر ، وتقدير جميع النزعات

هذا ولم يتسع المجال لأن نذكر شيئاً عن خصائص العقاد الفكرية ، خصائص التحليل والتعليل ، تلك التي تطرد في كل ما يكتب ، وإن كان اعتياده الأكبر في التعليل والتحليل على المنطق الحيوي لا المنطق الذهني . وخلاصة ما يقال في دراساته التعليلية أن « برهانه الفصل تابع لاعتقاده الجميل ، وليس اعتقاده تابعاً لبرهانه في كل حين ، كما يقول هو في إحدى مقالاته عن نموذج من الناس يستحسنه ويؤمن على طريقته في الاستدلال

ولم نجعل كذلك طريقته في المرض ، وأسلوبه في التعبير ، ولعل القاري يجد شيئاً من هذا فيما كتبناه عند الموازنة بينه وبين المازني ، وفيما كتبناه في العام الماضي عن « عبقرية محمد » وهي نموذج كامل لدراسة الشخصيات .

إلى الأديب «محمد العلائي»

للدكتور عزيز فهمي

[ذكرى أول لقاء على صفحات الرسالة ، وقد نشرت له
(على صفحات الجيم) في العدد ٥٤٩ • صفحة ٢٦ قصيدته]

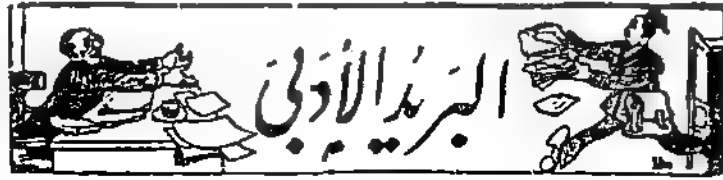
أزنتَ كامنَ أشجاني وآلامي
وَصَحَّ جنبي على « خفافيه » الدامي
يا أيها الشاعرُ المحرومُ لا سَعْباً
— كما تقول — ولكن روحك الظامي
إن « عربد الشك » — والتعبير مُبْتَكَرٌ —
في ساعة اليأسِ عَرَبْدٌ بعضُ أُنْقامِ
في نور قلبك من شمس الضحى عَرُوضُ
فأقبس من النور أو أشرق بالهام
إن « الحقيقة » ظِلٌّ حائل أبداً
يحومُ والناسُ في ماخور آثامِ
دون الحقيقة — دُخانٌ حائل عَرمِ
من التقاليد مخوفٌ بأوهامِ

وبعد ! ألا كلمة من « الصديقة بنت الصديق » صاحبة
المقال ؟ ! إن قلة السطور الباقية لتعجلني عن كثير ، ولكنني
أسلك أن أقول : إن عائشة المرأة ، وعائشة الأنثى ، وعائشة
السلطة ، وعائشة زوج النبي ، وعائشة الإنسانية تبدو على أوضح
ما تكون في هذا الكتاب الأخير

ولقد وقع اتفاق عجيب في موعده هذه الدراسة . ذلك هو
التوافق بين السن التي كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يهش فيها
لعائشة ويستروح ويتقبل بسرور ونشاط مقتضيات سنّها وصياها
وبين السن التي يدرس فيها المقادير شخصية عائشة (رضي الله عنها) ،
وإنه ليخيل إلي أن هذا التوافق كان واضح الأثر في انفعال
المقادير هذه الشخصية الحلوة الكريمة وصحة فهمها لخواص الجهاد وتصرفاتها
وهذا الكتاب الجديد امتداد وتكملة لمبكرة محمد ، كما
كانت عائشة امتداداً وتكملة لحياة محمد ، وقد جمعهما أسلوب
المقادير الفنان على نسق اجتماعهما في الحياة قبل ثلاثة عشر قرناً
من الزمان .

سيد قطب

وما الحقيقة إلا ما يُروّره
خيالٌ مُتَجَرِّجٌ أو عَجْزٌ أقرامِ
غرائز الناس تأبأها مجردة
ويُدْعِمُ الزورَ منهم كُلُّ هدامِ !
« خلا المصلي » ولا محراب تنظره
وعصم الليل في بيدا أحلامِ —
وطُفَّتْ بالمعبد المحزون تسأله
أين المسيح وأين البدأ السامي ؟
ونعم الكاهن الدجال أغنيّة
وأطفاً الشمع إلا حول أصنامِ
كفرتْ بالإثم واجتاحتك عاصفة
في لجة الشك حول الساحل الطامي
ونمت في الأرض « مخدوراً متى شرفاً »
تقول « يا وحدي » في ليل إحرامِ ! —
أخي ! وإن لم تصلنا بعدُ رابطة
من الوداد ولم نوصل بأرحامِ
عظمتُ شمعك عذباً في خفولته
قبل الأوان فلم يُخْهِمْكَ إعطاسِ
ورق قلبي وراق اللحن في أذني
— أنا العنيد — كما يحتاج كوامي
يصيب سمى وقرّ من مباديلهم
إذ يُتَحَمَّونَ وكيكاً شر إنعامِ
كذلك الشعر فاصدح في خيلته
أعوذ بالشعر من أنعام نظامِ —
عشرت من كرمّة الحرمان خمرته
فاحت الكاس في « جوى وأناسي »
وفي اليواكير طعم لا يُلْدُّ به
إلا عليم بطعم الحر والجوامِ
نزحت دمي فليت الدمع يشفع لي
وليت نفسك ترضى بعد إحجامِ
هزيت قهقهة



ليس يكفي أن أرغب في امتلاك القمر، لكي ينمط
إلى هذا القمر، كما أنه ليس يكفي أن أصبو إلى مجد نابليون
لكي يسى إلى هذا المجد، ومع ذلك فأنتى أقول إنه يكفي
أن أرغب في خلود النفس لكي يكون هذا الخلود حقيقة

ناطقة لها وجود. فما هو الفارق إذن؟ إنه لفارق كبير، وبيان
ذلك أن الرغبة في نيل القمر، والطموح إلى مجد نابليون،
لا يصدور كل منهما مجرد نهاويل شخصية ليست نتيجة
لطبيعتى إن في كثير أو قليل. أما رغبتي في الخلود فهي ظاهرة
أولية عامة لها أساس في الطبيعة الإنسانية كلها (١)

أما الاعتراضات التي تثار ضد عقيدة خلود النفس فقد
تكفل بالدرد عليها الكاتب الفرنسي شاتوبريان في كتابه:
«عقيدة المسيحية» (القسم الأول، الكتاب السادس،
الفصل الرابع). وهذه الاعتراضات كلها يمكن أن تتحل
بسهولة، إذا عرفنا أنه لا يجب علينا أن نتخذ من جهلنا لبعض
التفاصيل والمجزيئات ذريعة للقول بفساد العقيدة كلها. ويمجى
في هذا الصدد قول ترتليانوس Tertullien: «أين لي الحالة
التي أنت عليها، أقل لك الحالة التي ستصير إليها»

ذكيا إبراهيم

مول خاتمه البنات في مصر

كتب الدكتور الفاضل (ع. أسامة) في هذا الموضوع
المهام مقالاً ممتازاً في رقم ٥٤٤ من مجلة «الرسالة» الثراء، وقد
ورد فيه بعض نقط دقتى إلى ما يأتي:

يقول الدكتور الفاضل: «تختص مصر بهذه المادة دون
سائر بلاد العالم المتعدن، إذ لا يشاركها فيها سوى قبائل السودان
وأواسط إفريقيا». والواقع أن الشعب السوداني كله يختص
بهذه المادة، ولم يستطع الخلاص منها رغم الجهود المظيمة التي
يبدلها شباب وشيوخه بين حين وآخر أملاً في أن يقطع هذا
الشعب المسلم عن هذه المادة الضارة

وقد كتب الدكتور السوداني سيد عبد الهادي مقالاً
عام ١٩٣٩ في جريدة النيل السودانية مشابهاً لما كتب الدكتور

(١) مصادر الإيمان بالله (Les Sources de la croyance en Dieu)
ص ٤٣١: «لنفس» نيمان

مول خلود الروح

عقيدة خلود الروح من العقائد النامضة للثقافة بالأسرار،
ولذلك فقد أقيمت على مرّ المصور تقدماً عتيقاً، وطلها جارحاً.
ولعل أفسى ما رُجّه إلى هذه العقيدة من حملات، تلك الحملة
الشديدة التي شنّها عليها الفيلسوف الألاتى أرنست هيكل في
الفصل الحادى عشر من كتابه «لنز الكون» وقد انتهى هذا
الفيلسوف من تقديمه إلى القول بأن «الإيمان بخلود النفس الإنسانية
إنما هو عقيدة تتناقض تناقضاً صارخاً مع الحقائق التجريبية
الثابتة لعلم الحديث». ولكن خلود الروح — على الرغم
مما أدلى به هيكل وغيره من الفلاسفة — لا يزال حقيقة عزيزة
على الإنسان. وحسبنا أن قرأ ما كتبه الأستاذ زكي نجيب محمود
بعد الرسالة المتأخر تحت عنوان (هجرة الروح) لتحقيق من أن
الإنسان لا يسمه أن يطلق هذه العقيدة، ولو قام على بطلانها
ألق دليل! وإذا كان فولتير يقول لنا «إننا إذا فكرنا في البرفوت
لم يخطر ببالنا أن له نفساً خالدة؛ فلماذا إذن اعتقد أن لي نفساً
خالدة؟ لماذا يظنّ الناس أنفسهم ويتبرون بأنهم هم وحدهم
للوهوبون بمنصر الخلود والروحانية؟ لئى السبب في ذلك
زهورم القيرط. وإنى أشعر أنه لو كان الطاووس يتكلم لأعرب
من إعجابه بنفسه، وأدعى أن مكان النفس من جسمه هو ذنبه
الجليل! إذا كان فولتير يقول هذا؛ فإن في استطلاعنا أن
نرد عليه فنقول: «أليس أمل الإنسان في خلوده بعد الموت
دليلاً على خلوده؟ إن رغبة الإنسان في الطعام ما كانت لتوجد
لو لم يكن الطعام موجوداً. فازهرة والنخلة فانيان وهما لا تنشدان
خلوداً، أما الإنسان فراغب فيه ساع إليه، ويستحيل أن
يكون له ذلك ما لم يجد في فطرته وجيلته ما يوحى إليه أنه خالد»
أجل، إن العقائد لا تبنى فقط على العقل، ولكنها تبنى
أيضاً على الشعور، وقد فطن إلى هذا أحد الباحثين — وهو
سترلانج — فقال: «إننى أعلم علم اليقين أنه

أسامة عن هذه المادة ، وبناء على ما جاء في مقال الدكتور سيد أحمد أفقي فضيلة مفتي السودان بما يحرم ختان البنات بهذه الطريقة التي كتب عنها الدكتور ان . وتسمى عندنا (الفرعونية) . والمعروف أنها انتقلت إلى السودان من مصر . وقد كان لإثارة هذا الموضوع آنذاك آثار حسنة ظاهرة ، ولكنها ما لبثت أن اختفت مع مرور الأيام . وأكبر الظن أن الدافع إلى الدكتور السوداني إلى الكتابة في هذا الموضوع كان ما تحكبه المرأة السودانية من ألم وصعوبات عند الوضع . الأمر الذي يترتب عليه كثير من حوادث الوفيات بين النساء .

أما سكان أواسط إفريقيا الوطنيين فهم قوم ما زالوا على الفطرة ، ولم ينتشر بينهم ختان البنات والأولاد على أية طريقة ما إلا في أندر الحالات التي لا تبرر ذكرهم في كلام الدكتور أسامة . ومع ذلك فقد لا ينعدم بينهم (الخراقات المتعلقة بالاعتقاد في إصابة بعض النساء بالجن والشرائح والأسبياد ، وما يجده الدجالون من سوق رانجة ينهن باستغلال هذه المعتقدات) ، وهذه المعتقدات في أواسط السودان وشماله أثر ظاهري يماثل أثرها في مصر ، ولكنها في جنوبيه لا يوجد لها أثر مرتبط بهذه الناحية

هذا ما عنى أن أذكره شاكرًا للدكتور أسامة جهوده وغيره ، وأرجو أن يوفق فيما دعا إليه . خصوصاً في هذا الظرف الذي يحتم على أبناء الشرق أن يصلحوا من حالهم الاجتماعية التي هي أساس كل تقدم برموز إليه

« وادي حلفا »

سليمانه جيت

في الصديقة بنت الصديق أيضا

كان الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد منصفاً كل الإنصاف في اختيار العنوان لردّه على المآخذ التي وجدتها أنا وبعض الفضلاء في كتابيه : « الصديقة بنت الصديق » و « عبقرية الإمام » ، ولكن ما أجاب به عن الأمرين اللذين أخذته بهما لم يصب عين ما أردت منها ، لأنه جرى فيما أجاب به عن الأمر الأول على

مذهب ضئيف للنظام في الصدق والكذب ، وهو أن الصدق مطابقة الخبر للاعتقاد ، والكذب عدم مطابقة له . والصحيح مذهب الجمهور في الصدق والكذب ، وهو أن الصدق مطابقة الخبر للواقع والكذب عدم مطابقة له . فالنبي صلى الله عليه وسلم حين رأى شياً بينه وبين ابنه إبراهيم يرى أنه يشبهه في الواقع ، وعائشة حين قالت له إنها لا ترى شياً بينهما ، ترى أنه لا شبه بينهما في الواقع ، وفي هذا تكذيب له غير لائق ، ولا سيما أن السنة المناقنين كانت تلوك في أمر مارية حين ساءم ولادة إبراهيم ما لا كره في عائشة ، وهي أكبر من أن تقابل النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القول الذي يراح له أعداؤه من المناقنين . وقد قال الأستاذ العقاد : « فالتكذيب هنا إنما يكون إذا قالت إنك يا رسول الله لا ترى شياً بينك وبين إبراهيم . أما أن تقول عن نفسها إنها ترى الشبه وهي لا تراه ، فذلك هو الكذب الذي ينبو عنه مقامها » . وإلى أقول إن هذا هو مذهب النظام في الصدق والكذب بعينه ، ومؤخذني للأستاذ العقاد في ذلك الأمر لا تقوم على أساسه

وأما جوابه عن الأمر الثاني فقد خرج فيه عن الذنب الذي قذفت به عائشة ، وطلب منها النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الخبر أن تعترف به وتستغفر منه إن كانت ألت به ، فالذنب الذي قذفت به هو الزنا ، وهو يخالف سائر الذنوب في أنه يندب للحاكم إذا أقر به شخص عنده أن يعرض له بالرجوع عن إقراره ، فكيف يطلب النبي صلى الله عليه وسلم أن تعترف به إن كانت ألت به . على أن الاعتراف بالذنب ليس من أصول الإسلام في شيء ، وإنما هو أصل من أصول المسيحية . وقد جاء في بعض الأحاديث أن الله يحب من العبد إذا ارتكب ذنباً فلم يفضحه أن يستتره عن الناس . فالذي أنكره من ذلك الخبر هو ما فيه من طلب اعتراف عائشة بذنب لا أساس له ، وما فيه من إفادة شك النبي في برائتها مما قذفت به ، وفي جواب عائشة عن ذلك أكبر دليل على ضعف ذلك الخبر .

في مقال الصديق

بشارة أم لكثير غزوة ؟

في الرسالة (٥٤٣ - ٩٥٩) كتب الأديب عبد الجيد عثمان عبد الجيد كلمته تسامد فيها : كيف أورد مؤلفاً قصة الأدب في العالم الأبيات البائية المشهورة التي نسبها صاحب الأغاني إلى بشار - تسامد كيف نسب هذه الأبيات إلى كثير غزوة ؟ ...

ويظهر أن الخلاف في قائل هذه الأبيات قديم جداً ، وأن الخلاف في القائل واسع لا يقف عند بشار وكثير غزوة . والظاهر أن بعض الكتاب القدماء نسب هذه الأبيات إلى ذى الرمة أيضاً ؛ فقد ذكر صاحب معارج المشاق أن كثير غزوة خرج مرة للقاء غزوة واشتدت به الحال فأنشد :
يزهدنى في حب « مية » معشر قلوبهم فيها مخالفة قلمي الخ
ثم قال : « هكذا رواه ابن اسحق ، وقال الشهاب محمود

بذلك ونقل في الطبقات الأبيات إلا أنه قال :

يزهدنى في حب « غزوة » معشر . ثم قال هذه الأبيات لكثير غزوة ، وقد توهم قوم أنها لذي الرمة بدليل قوله :
يزهدنى في حب « مية » معشر ، وليس كذلك . وإنما كان سهواً

هذا كلامه بالنص ومنه يعلم أن هناك من نسبها إلى ذى الرمة ، ولكنه رحمه الله يحزم - كما ترى - أنها لكثير غزوة ، وهذا الجدل والدفع والجذب يقوم ، مع أن الأصفهاني ذكر الأبيات في شعر بشار بغير خلاف !

وليس هذا بأول خلاف ولا بآخر جدل يقوم على بيت من الشعر وتعيين صاحبه . والتقطع برأى في مثل هذه المسائل يحتاج إلى شيء من الدقة وشيء من التريث . ولا بد من الرجوع إلى كل ما يمكن الرجوع إليه من المراجع والموسوعات برهانه الدلبة المرافعة

اليوم

بسينما ستوديو مصر
عميد المسرح المصري
يوسف وهبي

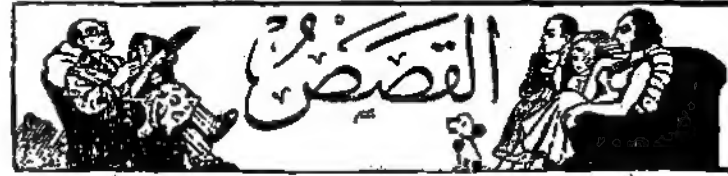
نور الهدى مع أمينة رزق
في

برلنتي

مع بعض كواكب المسرح والسينما
تأليف وإخراج : (يوسف وهبي)
إنتاج ستوديو مصر

توزيع نحاس فيلم

... وذات صباح جاءت شقيقتها ... شقيقتها
الصغرى «مرجريت» ، ولم تكن بعد قد تعدت الثانية
عشرة وألقت بنفسها بين ذراعي شقيقتها الكبرى
وقالت لها :



الاعتراف ...

للأب الفرنسي دى موبسان

بقلم الأنسة درية رستم

يا شقيقتى الكبرى ... لأننى لا أريد أن تكونى تمة ...
لا أريد أن تبكى طول حياتك ... أبدأ لن أغادرك أبداً ...
وأما عن نفسى فلن أتزوج ، وسأظل دائماً إلى جوارك دائماً ...
دائماً ... راحتضنها سوزان متأثرة بهذا الإخلاص من طفلة .
ولكن الطفلة عملت بقولتها ، وعلى الرغم من توسلات أبيها
وتضرعات شقيقتها لم تشأ أن تتزوج ... ولقد كانت جميلة
بارعة الجمال ، وردت كثيراً من الشبان الذين كانوا يلوحون أنهم
يحبونها ... ولم تنادر أختها مطلقاً !

وعاشتا معاً طيلة إقامتهما دون أن تنفردا مرة واحدة .
وظلتا متعاشرتين تربطهما حمرة وثقى ... إلا أن «مرجريت»
كانت تبدو دائماً حزينة مهمومة ... أكثر حزناً من أختها ،
كما لو كان من المحتمل أن تكون تضحيها الثالية قد قوضت
حياتها ، وراحت تدلف في طريق الشيوخوخة بخطوات حثيثة ،
وخطط الشيب شعرها وهي لا تزال في الحلقة الثالثة من عمرها ...
دائماً نمانى ، كما لو كان خطراً هائلاً يهددها .

وها هى ذى الآن تموت قبل أختها ! ولم تنفرد شفتاها
عن كلمة منذ أربع وعشرين ساعة ... فقط قالت عند الومضات
الأولى للفجر : هيا ابهى يا أختاه عن القس ! فإنى مشرفة
على الهلاك ...

وبقيت بعد ذلك مستلقية على ظهرها ... تنفخ انتفاضاً
مرتبجة الشفتين ، كما لو كانت كلمات هائلة تصمد من أعماق قلبها ،
ثم تقف حائرة على شفتيها !
وراحت أختها ، وقد أرمضها الألم ، تبكى بحرقه من خلف
السريр ، وهي تردد :

يا مرجو .. يا مرجو التمة ... يا صغيرى ، وكانت دائماً
تناديه بيا «صغيرى» ، كما كانت «مرجريت» تناديه دائماً
بيا «أخى الكبرى» ...

كانت مرجريت دى تيرون تعاني سكرة الموت وهي بعد في
الواحدة والخمسين من سنى حياتها ! إلا أنها كانت تبدو لرائها
على الأقل في الخامسة والستين ... وراحت تنفخ وهي أشد
اصفراراً من أدوتها ... تخالج جسدها رعشات هائلة ... شاحجة
الوجه ... رائحة البصر ، كما لو كان شيئاً هائلاً يلوح لها .
وراحت شقيقتها الكبرى «سوزان» تنتحب ، وهي تكبرها
بمشر سنوات ، وكانت جالسة بالقرب من السرير ، وكان بالقرب
من فراش المحضرة منضدة عليها مفروش من فوقه شمتان
مشمستان ...

كانتا في انتظار القس الذى كان من واجبه أن يقوم
بمباركتها البركة الأخيرة ويقدم القربان المقدس . وكان للمسكن
ذلك المنظر المشؤوم لحجرات الموتى ، منظر الوداع الذى لا لقاء
بعده ... زجايات الدواء على كل قطعة من الأثاث ... والملابس
ملقاة في كل ناحية من نواحي الغرفة ... مدفوعة بركة قدم أو
بضربة مكفسة ... حتى الأرائك كانت في غير أماكنها المدة لها .
نعم فقد كان الموت الروح ثم غتبتاً منتظراً ...

كانت قصة الشقيقتين تستدعى رحمة القلوب وإشفافها ...
وراج القوم بروونها من زمان بعيد وهي بعد تستدر عبراتهم
كانت سوزان في ميمة صباها يحبها حتى إلى حد الجنون ...
وكافت تبادل الحب ... وإذ لم يعد على زواجهما غير أيام معدودات
نات «هنرى دى ساير» فجأة ...

ولقد كان بأس الفتاة قائلاً حتى لقد أنفست ألا تتزوج
أبداً ... والحق أنها برت بقسمها وعاشت عيشة البوائس ، ولم
تشف من عادتها مطلقاً

جيداً أليس كذلك ؟ ولقد كنت مدلة ؛ كنت أعمل كل ما أريد عمله ... أذكرك جيداً كيف كانوا يدلونني ! أصني ... حينما جاء لأول مرة كان يحمل باقات زهرة وتزل من فوق جواده أمام الدرج

ولكنه كان يحمل نياً إلى والدي ... إنك لتذكرين ... أليس كذلك ؟ لا تقول شيئاً ، أصني ... حينما رأيته ... شعرت كأنني أُسرت ، فقد كان جليلاً ، فأن الجلال ... وظلت واقفة في ناحية من الصالون طوال الوقت الذي كان يتكلم فيه

وزاونا مرات عدة ، فكنت أصدق فيه ، بكل عيني ... من كل قلبي ... فلقد كنت أكبر من سني ! وعاد بعد ذلك كثيراً ... ولم أكن أفكر إلا فيه ... وكنت أقول في صوت خافت :

هذي ... هذي دي سامبير ... وبعد فقد قيل إنه سيتزوج منك ... فأصابني لذلك ألم ... أواه ! لشد ما تأملت ... لشد ما تأملت !

وظلت ثلاث ليال متتاليات دون أن يزورني الكري ، وشرع يزورنا كل يوم ، وبعد الظاهر ... بعد أن يتناول طبقاً النداء ... إنك لتذكرين ... أليس كذلك ؟ لا تقول شيئاً ... إصني ... كنت تعدين له « الفطير » الذي كان يحبه كثيراً من الدقيق ... أواه ... إنني لأعرف نغماً ، كيف كنت تقومين بذلك !

وبعد أن كان يرشف قدحاً من الخمر ... يقول : كم هو شعبي ! وإنك لتذكرين كيف كان يقول ذلك ... لقد غدوت حقودة ... حقودة ... وكان يوم زواجكما ... بقرب حتى لم يبق عليه إلا خمسة عشر يوماً ... غدوت مجنونة ... فكنت أقول فيما بيني وبين نفسي

سوف لا يتزوج من سوزان ... كلا ، لا أريد ذلك ... إنه سيتزوج مني حينما أكون أكبر ... إنني لم أجد أبداً من أحبه هذا الحب ... ولكن ... ذات مساء قبل عقد زواجكما بشرة

وسمنا وقع أقدام على الدرج ... وفتح الباب ولاح طفل من الكنيسة ، ومن خلفه قس كهول في لباسه الكهنوتي . وما إن وقع بصر المحتضرة عليه حتى انتفضت وفترت فاحا ، وتمتمت بكلمات غير مفهومة ... وتقدم منها الأب « سيمون » وتناول يدها وقبلها في وجتها ، وقال لها في صوت حلو النبرات : — إن الله ليغفو عنك يا طفلي ... تشجبي ... ها هي ذي

اللحظة قد دنت ... تكلمي

... وتمتمت مرجريت التي راحت تنتفض من فرعها إلى قدمها ... وراح مهادها يهتز بتأثير حركاتها المصيبة

لتجلسي يا شقيقتي الكبرى ... ولتسمي ... وأنجي النس ياخذ بيد « سوزان » وهي قابعة كعادتها عند قدم السرير وأجلسها على الفوتيل وأخذ بكل يده يد من يد كل من الشقيقتين ، وقال :

رياه ... لتبث فيها القوة ... ولتخرج عليها رحمتك ... وشاءت مرجريت أن تتكلم ، فخرجت الكلمات من حلقها الواحدة بعد الأخرى جزئية متقطعة

عفوك ... عفوك يا أختاه ... لتصفحي عني ... آه لو أنك تعلمين كم كنت أشفق على نفسي من هذه اللحظة ... طول حياتي ... وتمتمت سوزان من بين عبراتهما ...

عم أصفح عنك يا سثيرتي ... وقد منحني كل شيء ... وضجيت بكل ما تملكين ... إنك ملاك ولكن مرجريت قاطعتها قائلة :

خلي عنك

دعيني أنكلم ولا تقاطعيني ... هذا صريع ... دعيني أقل كل شيء حتى النهاية ... دون أن تتحركي ... إصني ... إنك تذكرين ... تذكرين هذي ...

وانتفضت سوزان ونظرت إلى شقيقتها التي استطردت قائلة : يجب أن تسمي لنفسك ... كنت في الثانية عشرة من عمري حياتي ... في الثانية عشرة فقط وإنك لتذكرين ذلك

أيام كنت تسيرين معه ... في ضوء القمر ... هناك تحت شجرة
السرو ... شجرة السرو السامقة ... ضحك ... ضحك بين
ذراعيه طويلاً ... إنك لتذكرين ... أليس كذلك ؟ ...
وكان ذلك محتملاً أول مرة ...

لأنني رأيتك شاحبة الوجه حينما عدت إلى الصالون ...
ولقد استطلعت أن أرى كل شيء ، ذلك لأنني كنت واقفة
هناك على الرصيف ، فتملكني النصب ... حتى لو كان في استماعي
أنتد أن أقتلكما ... لما ترددت في ذلك . قلت فيما بيني وبين
نفسى : سوف لا يتزوج من سوزان أبداً ، ولا من أية فتاة
أخرى ... غدوت نعمة ... ولجأة وجدتني أندفع في طريق
الحقد ... الحقد المروع !

أتعلمين ما الذى فعلته إذن ؟ ... أصبى . كنت رأيت
البيستاني يعد كرات صغيرة ليقتل بها الكلاب الضالة ... فكان
يسحق الزجاج بحجر ... ثم يضع الزجاج المسحوق في كرة صغيرة
من اللحم ... وأخذت من غرفة والدتي زجاجة صغيرة من
زجاجات الدواء وجعلت أحطمها

وأخفيت الزجاج في جيبى وهو لا يحد أن يكون مسحوقاً
لامساً ... وفي اليوم التالي ... عند ما قت كعادتك بعمل
« الكسك » ، شققها جيماً بسكين ودست الزجاج فيها ...
وأكل منزى منها ثلاثاً ... وأكلت أنا واحدة ... وألقيت
بالبقية في الندير ... ولقد ماتت الأوزتان بعد ذلك
بثلاثة أيام ... إنك لتذكرين ذلك ... أوام لا تقولى شيئاً ...
إصنى ... إصنى ... أنا وحدى التى لم تمت ...

ولكننى كنت دائماً سريضة مدنفة ... إصنى ، لقد مات ...
إنك لتذكرين جيداً ... إنه ليس في ذلك شيء حتى الآن ...
بل إنه بعد ذلك ... بعد ذلك بكثير غدوت حياتى كلها مفعمة
بالشقاء ، فكنت أقول فيما بيني وبين نفسى : سوف لا أعاد

شقيقتى ، سوف أقول لها كل شيء ... عند ما يدم أحداً الموت
ولقد كنت أفكر دائماً في تلك اللحظة المرتقة . تلك
اللحظة التى أعترف لك فيها بكل شيء ...

وها هى ذى قد حانت ! هذا صريع ... أوام ... يا شقيقتى
الكبرى ... كنت دائماً أفكر ... في الصباح وفي المساء ،
في النهار وفي الليل ... أنه يجب على أن أكشفك بكل شيء ...
لشد ما تألت ! انصتى ... الآن يتملكنى الخوف ...
خوف مروع ، أوام . أخشى أن أوام بعد برهة ... حينما
أموت ... أندركين ما أعنى ؟ أندركين ... ها أنذا وقد أشرفت
قبلك على الهلاك ، أنضرع إليك أن تصفح عني ، لأننى
لا أستطيع أن أموت دون أن أقدم بعفوك إليه ...
اسأله أيها الأب أن يعفو عني .. أنضرع إليك ...
لا أريد أن أموت قبل ذلك

أخفت سوزان وجهها بين يديها ، ولم تأت بحركة ، وراحت
تفكر في فتاها ، وكيف كان من الممكن أن تتمهده بحبها
طويلاً ، وأية حياة جميلة تلك التى كانت لها ، وومض خيالها لحظة
في ذهنها ثم لم يلبث أن اختفى في الماضي البعيد ... مات فتاها
وشقيقتها العزيزان ... كم يحزق موتها قلبها ... أوام ...
صورته ... صورته الحبيبة ... إنها تحتفظ بها في أعماق نفسها ...
ثم لم يبق شيء من حياتها كلها ...

ولجأة قام القس ، وصاح في صوت جهورى واضح :
يا آمنة سوزان ، إن شقيقتك محتضر

وفتحت سوزان ذراعيها ، ووضح وجهها المخضل بالدموع
واندفعت إلى شقيقتها وراحت قبلها بكل قوتها وهى تتمنى ...
إننى أعفو عنك ، أعفو عنك يا صغيرتى !

وربة دمتم
مسند الترية بالزمالك